﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢﴾ [النّحل: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الأمـوزُ الموجبة لتوحيد اللهِ بالعبادة والتّكليف، بعدَ توحيدِه بالرَّهبة والتّخويف

مُناسبةُ موقعِ هذه الآية بعد جملة: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾، أنَّ الذين جعلوا إلَهين، جعلوهما النّورَ والظُّلمةَ، وإذا كان النّورُ والظُّلمةُ مَظْهَرَيْنِ من مظاهر السَّماء والأرض، كان المعنى: أنَّ ما تزعمونه إلهًا للخير، وإلهًا للشَّرِّ، هُما من مخلوقاته[1]، وكذلك لمّا قَرَّر سبحانَه وحْدانيّتَه، وأنّه الّذي يجب أن يُخَصّ بالرّهبة منه، والرَّغبةِ إليه، ذكر أنّ الكلّ في مُلكه وتحتَ تَصَرّفِه، فقال: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2]، فبيَّنتِ الآيةُ السّابقةُ أنّ اللّه واحدٌ، وأنَّ الواجب على الخلق أن يخافوا اللّهَ ﷻ وحْدَه، ولا يشركوا به شيئًا، وتُبَيِّن هذه الآيةُ الأمورَ الموجبةَ لتوحيد اللّه بالعبادة، وتوحيدِه بالرّهبَة، وذلك لأنّ اللّه سبحانَه يَملِكُ السّماواتِ والأرضَ وما فيهنّ، وأنّ الطّاعة والانقياد والجزاء على الدّوام له وحْدَه، ولذا فعلى الخَلْق أن يوَحّدوا اللّهَ، ولا يُشْرِكوا به شيئًا[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلدِّينُ﴾: أصْلٌ واحِدٌ، إليه يَرجِعُ فُروعُهُ كُلُّها، وهو جِنْسٌ مِنَ الانْقِيادِ والذُّلِّ، فالدِّينُ: الطّاعَةُ، يُقالُ: دانَ له يَدِينُ دِينًا، إذا أصْحَبَ وانقادَ وطاعَ، وقَوْمٌ دِينٌ، أيْ: مُطِيعونَ مُنْقادونَ[4]، ودانَ نَفْسَه، أي:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 175.
(2) القنّوجي، فتح البيان: 4/ 38.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 220، والقدومي، التّفسير البياني، ص: 105.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دين).

أذَلَّها واستعبَدَها، يُقال: دِنْتُ القَوْمَ أدِينُهم، إذا فعلتُ ذَلِك بهم[1]، والدِّينُ يُقالُ للطّاعة والجزاء، واستُعير للشَّريعة، والدِّينُ كالملَّة، لكنَّه يُقال اعتبارًا بالطّاعة والانقياد للشَّريعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19][2]، والدِّين أيضًا: الجَزاءُ والمُكافأة، ودِنْتُه بفعلِه دَيْنًا: جَزَيته[3]، والمرادُ بالدِّين في الآية: الطّاعَةُ، فهوَ مِنْ مُتَمِّمات جُملَة: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ويَجوزُ أنْ يَكونَ بِمَعْنَى الدِّيانَة، فيَكونُ تَذْييلًا لِجُملَة: ﴿*وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؛ لِأنَّ إبطالَ دِينِ الشِّرْكِ يُناسِبُهُ أنْ لا يَدِينَ النّاسُ إلّا بِما يُشَرِّعُهُ اللّه لَهُم، ويَجوزُ أنْ يَكونَ الدِّينُ بِمَعْنَى الجَزاءِ، فيَكونُ إدْماجًا لِإثباتِ البَعْثِ الَّذي يُنْكِرُهُ أولَئِكَ أيْضًا[4].

2) ﴿وَاصِبًا﴾: أصلُ (وَصَبَ): كلمةٌ تَدُلُّ على دوامِ شَيءٍ، ووَصَبَ الشَّيءُ وُصوبًا: دامَ، ووَصَبَ الدِّينُ: وجَبَ، ومَفازَةٌ واصِبَةٌ: بَعِيدَةٌ لا غايَةَ لَها، وفي كتابِ اللّه تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ [الصّافات: 9]، أي: دائِمٌ، والوَصَبُ: المَرَضُ المُلازِمُ الدّائِمُ، ورَجُلٌ وصِبٌ ومَوصَّبٌ: دائِمُ الأوْصابِ[5]، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال الفرّاء: دائمًا، وأوصب القومُ على الشّيء، إذا ثابروا عليه[6]، والمقصودُ بالواصِبِ في الآية: الثّابِتُ الدّائِمُ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جميعُ المخلوقاتِ عَبيدٌ لله تعالى، وفي مِلكِه وتَصَرُّفِه، وتحتَ قَهرِه وسطوتِه

يقول الحَقّ تعالى: ولله وحْدَه مُلْكُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ مِن خَلقِه، وكُلُّهم عبيدُه، وله تعالى وحْدَه الطّاعةُ والإخلاصُ،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (دين).
(2) الرّاغب، المفردات: (دين).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (دين).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 176.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (وصب).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (وصب).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 176.

والخُضوعُ والذُّلُّ دائِمًا في جميعِ الأوقاتِ؛ فطاعتُه واجِبةٌ وثابتةٌ على عبادِه أبدًا، لا تنقَطِعُ ولا تزولُ، بخلافِ طاعةِ غَيرِه سُبحانَه، أفغَيرَ اللهِ - أيُّها النّاسُ - تخافونَ وتُطيعونَ، وهو المَعبودُ الحَقُّ، المُتفَرِّدُ بالخَلقِ، والمُلكِ والتَّدبيرِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

فائدةُ عطفِ هذه الآيةِ على سابقتها:

إشارةٌ إلى برهان التَّوحيد السّابق إثباتُه، وأنّ صِفةَ المالكيَّة تقتضي إفرادَه بالعبوديَّة

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، معطوفٌ على جملة: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، لأنَّ عَظَمة الإلَهيَّة اقتضتِ الرَّهبة منه، فناسبَ أن يُشار إلى أنَّ صفة المالكيَّة، تقتضي إفرادَه بالعبادة[2]، ففي هذا العطفِ إشارةٌ إلى بُرهان التَّوحيد السّابق إثباتُه، وتقريرُه: فكُلُّ ما يُدّعَى إلهًا معَ اللهِ ﷻ، هو في الحقيقة مملوكٌ له، وكلُّ مملوكٍ له ليس بإلهٍ مع مالكه[3].

بلاغةُ الالتفاتِ بينَ هذه الآية وسابقتها:

التّدليلُ على أنّه ﷻ مُتفرّدٌ بالأُلوهيَّة والوحدانيَّة

التَفَتَ مِنَ التَّكلّم في قوله تعالى: ﴿فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾، إلى ضمير الغيبة بقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فأخبر تعالى: أنّ له ما في السّماوات والأرض، لأنّه لمّا كان هو الإلهُ الواحد، كان ما سِواهُ موجودًا بإيجاده وخَلْقِه، وأخبر أنّ له الدِّينَ واصبًا[4]، وهذا دليلٌ على أنَّه المُنفرد بالأُلوهيَّة والوحدانيَّة، إذ غيرُه لا يخلو، إمّا أن يكون في السَّماوات أو الأرض، وكُلٌّ بما فيها مملوكٌ للّه، فلا يَصِحّ ولا يَليقُ اتّخاذُ غيرِه إلهًا[5].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 246، والقرطبيُّ: الجامع لأحكام القرآن: 10/ 114، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 202، والسَّعدي، ص: 442، والشِّنقيطي، أضواء البيان: 2/ 383.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 175.

(3) الطّوفيّ، الإشارات الإلهيّة، ص: 380.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 544.

(5) الصّاويّ، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 2/ 271.

سِرُّ العلاقة بين ذِكْرِ المُلك، والنَّهي عنِ الشِّرك:

بيانُ مُنافاةِ المملوكيَّة للألوهيَّة

العلاقة هي أنَّ اللّه سُبحانه يملك الوجودَ، ولذا فلَهُ الحَقُّ بتوحيده بالعبادة والرَّهبة، وأنّ الّذين يُشركون باللّه، إنَّما يشركون معه مَن لا يملك حتَّى ذاتَه؛ لأنَّه ضِمنَ مُلْكِ اللّهِ سُبحانَه، فهل يُعقَل أنَّ يُشرَك مع اللّه مَن يملكه[1].

فائدةُ لام الملك في ﴿وَلَهُۥ﴾:

انقيادُ ما في السَّماوات والأرض لعَظَمتِه، وتخصيصٌ للرَّهبَة به تعالى

قولُه تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: للّه تعالى وحْدَه ما في السَّماوات وما في الأرض، مُلكًا وخَلْقًا، وعبيدًا وتصريفًا، لا شريكَ له في ذلك، ولا مُنازِعَ له في أمره أو نَهْيه[2]، وفيه تقريرٌ لعِلَّة انقيادِ ما فيهما له سُبحانَه خاصّةً، وتحقيقٌ لتخصيص الرَّهبة به تعالى[3].

بلاغةُ أسلوبِ القصرِ:

اختصاصُ مُلْكِ الكونِ به تعالى، ونفيُ أن يُنازِعَه في مُلكِها مُنازِعٌ

تَقَدَّم ذِكْرُ الجارِّ والمجرور ﴿وَلَهُۥ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ ليَدُلَّ على اختصاص مُلْكِ السَّماواتِ والأرض به ﷻ، وأنَّه لا يُنازِعُه في مُلكِها مُنازِع[4]، فهو يُفيد الحَصْرَ، فدخل جميعُ ما في السَّماء والأرض في مَفاد لام المِلْكِ، وهذا الحَصْر أفاد أن ليس لغيره شيءٌ مِنَ المخلوقات، خيرِها وشَرِّها، وانتفى أن يكون معه إلهٌ آخر[5].

السِّرُّ وراءَ التَّعبير بـ ﴿مَا﴾ دون (مَن):

إفادةُ عمومِ مُلكِ اللّه تعالى لجميع المخلوقات

جاء التَّعبير بـ ﴿مَا﴾؛ لأنَّها تُستخدم للعُقلاء وغيرِ العقلاء، في حُكم أنَّهم كلّهم مُلكٌ للّه وحْدَه[6] فاللّهُ له السَّماواتُ والأرض، وما فيهما مِن أحياء وأجرام، وعقلاء وغير عقلاء[7].

(1) القدّوميّ، التَّفسير البيانيّ، ص: 105.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 229، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 168.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 119.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 119، والقدّوميّ، التَّفسير البيانيّ، ص: 105.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 14/ 175.
(6) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 3/ 400.
(7) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4193.

نُكْتَةُ جَمعِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وإفرادِ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وعطفِها:

بيانُ كونِ السماوات أجناسًا مختلفةً، والأرضِ جنسًا واحدًا

جُمعتِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ لأنَّها أجناسٌ مُختلفةٌ، كلُّ سماءٍ مِن جنسٍ غيرِ الأُخرى، ووَحَّد ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنَّها كُلّها تُرابٌ[1]، ولأنَّ الأرض عالَمٌ واحد، ولا ريب أنّ عطف الأرض على السّماوات، هو تأكيدٌ على أنّ التّوصيف للأولى، هو توصيف للثّانية، وأنّ الخالق للأولى مع الفخامة والاتّساع، لا تُعْجِزُه الإحاطةُ بالثّانية، وهي لا تُمَثّل إلّا جزءًا يسيرًا منْ كواكب المَجَرّة القريبة، ناهيكَ عنِ المَجرّات البعيدة، الّتي تضبطها مسافاتٌ مهولة، يعجز العقلُ عن تَصَوّرها، ناهيكَ عنِ الوصول إليها.

سِرُّ تقديمِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾:

مَكانةُ السَّماواتِ العظيمة، وكونُها مصدرَ تَنزّلِ الآياتِ الكريمة

قُدِّمَ ذِكْرُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، جريًا على عادةِ القرآنِ الكريم؛ فإنّ القرآنَ قدَّمَ ذِكْرَ السَّماواتِ على الأرضِ بما يزيدُ عن مِئَةِ آيةٍ، ولم يتأخَّرْ ذِكْرُها إلّا في آيتينِ لِموجبٍ دلاليّ، وقُدِّمت أيضًا من باب تقديم الأعظمِ والأعلَى، فالشّأنُ أن يتقدَّمَ ذكرُ الأعظمِ والأعلَى مكانًا، على غيرِه، إلّا إنْ كانَ هناكَ ما يوجِبُ خِلافَه، والتَّقديمُ للأهميّةِ والقداسَةِ، فالسَّماء فيها العرشُ والكرسيُّ، والأرواحُ تصعدُ إليها، وفيها الجنّةُ والملأ الأعلى، وسِوى ذلكَ مِنَ الغيبيات.

السِّرُّ وراءَ عدمِ تكرارِ الموصول (ما) قبل لفظ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾:

ظهورُ المُرادِ غايةَ الظُّهورِ مِن قبلُ، وتأكُّدُه يُغني عن ذِكْرِه كَرّةً أُخرى

السِّرُّ وراءَ عدمِ تكرار الموصول (ما) قبل ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، مقارنة بما سبق في الآية التّاسعة والأربعون، حيثُ قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وذلك لمّا كان الأمرُ قد تأكَّد وتأطَّد، وظهر المُرادُ منه غايةَ الظُّهورِ، لم يُحْتَج إلى تأكيده بإعادة (ما)، فقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

(1) النَّيسابوريُّ، التّفسير البسيط: 3/ 453، والبغويُّ، معالم التَّنزيل: 1/ 195.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 178.

فائدةُ القَصْر بتقديم شِبه الجملة في ﴿وَلَهُۥ﴾:

حَصْرُ العبادةِ والطّاعةِ، واختصاصُها بالله وحدَه

قدَّمَ الجارَّ والمجرورَ ﴿وَلَهُۥ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾؛ ليَدُلَّ التَّقديمُ على اختصاص الطّاعةِ والجَزاءِ بالله، وأنَّ الطّاعة والجزاء، محصوران مقصوران، لا يكونان إلّا لله وحْدَه[1].

سِرّ تكرارِ شبه الجملة ﴿وَلَهُۥ﴾:

بيانُ اختصاصِه بملك الجزاءِ، بعدَ ذِكْرِ اختصاصِه بملك الخَلْق

سيق هذا الكلامُ الحكيم في سياقٍ بيانيّ، قد يُؤخذ منه شَكلٌ منطقيّ، فقد قدَّم ﷺ كلامه السّامي، بقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: له السَّماوات والأرض وما فيهما مِن أحياء وأجرام، وعقلاء وغيرِ عقلاء، وإذا كان مالكًا للوجود كُلِّه، وهو وحْدَه المُتَصَرِّف بمقتضى الاختصاص الثّابت بالملكيَّة، فله العبادةُ وحْدَه، وله الطّاعةُ وحدَه، وهو الّذي يملك الجزاءَ وحدَه؛ ولذلك قال بعد ذلك ما هو كالنّتيجة لهاتين المُقدّمتين: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾[2]، أي: الاستقرارُ المفهوم مِنَ الجارِّ والمجرور، والمعنى: استقرَّ الدِّينُ له حالَ كونِه دائمًا[3].

بلاغة التَّفنُّن في ذكر صيغة ﴿ٱلدِّينُ﴾ ومعانيها:

كونُ الكلامِ مِن مُتَمِّماتِ جملةِ المُلْكِ، في إفادتها للاختصاص

في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾، الدِّين يحتمل أن يكون المُراد به الطّاعةُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النّساء: 125]، أي: ومَن أحسن طاعةً، ومِن قولهم: (دانتِ القبيلةُ للمَلِك)، أي: أطاعته، فهو مِن مُتَمِّماتِ جملة: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، لأنَّه لمّا قَصَرَ الموجوداتِ على الكون في مُلكه، كان حقيقًا بقَصْر الطّاعةِ عليه، ولذلك قَدَّم المجرورَ في هذه الجملة على فعله، كما وقع في

(1) القدّوميّ، التّفسير البيانيّ، ص: 105.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4193.
(3) الصّاوي، حاشية الصّاوي: 2/ 271.

الّتي قبلَها[1]، ويجوز أن يكون الدِّين بمعنى الجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: 4]، فيكون إدماجًا لإثبات البعث الّذي ينكره أولئك أيضًا، والمعنى: له ما في السَّماوات والأرض، وإليه يَرْجِع مَن في السَّماوات والأرض، لا يَرجعون إلى غيره، ولا ينفعهم يومئذٍ أحدٌ[2].

دلالة التَّذييل، وأثره في السّياق:

اللهُ وحْدَه هو الّذي يَشْرَعُ الدِّينَ للعباد، لا أئمّةُ الضَّلالِ والفساد

يجوز أن يكون الدِّينُ بمعنى الدِّيانةِ، فيكونَ تذييلًا لجملة: ﴿*وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾؛ لأنَّ إبطال دِين الشِّرْك، يُناسبه أن لا يَدين النّاسُ إلّا بما يَشْرَعُه اللهُ لهم، أي: هو الّذي يَشْرَعُ لكم الدِّينَ لا غيرُه مِن أئمّة الضَّلال، مثل: عمرِو بنِ لُحَي، وزُرادَشت، ومَزْدَك، وماني، قال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشّورى: 21][3].

بلاغةُ الكناية في كلمة ﴿وَاصِبًاۚ﴾:

جَمعُ المعاني الكثيرة، في هذه الكلمة الفريدة

قوله تعالى: ﴿وَاصِبًاۚ﴾، أي: دائمًا ثابتًا، لا كالمُلوك الّذين تنقطع ممالكُهم مع خصوصها، والمعبوداتِ الّتي تنقطع عبادتُها في وقت مِنَ الأوقات[4]، فليس مِن أحد يُدانُ له ويُطاع، إلّا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك، غيرَ الله ﷻ، فإنَّ الطّاعة تدوم له ولا تنقطع[5]، لأنَّه لا يَضْعُف سُلطانُه، ولا يُعزَل عن سلطانه، ولا يموت ولا يُغْلَب، ولا يَتغيَّر له حالٌ، بخلاف ملوكِ الدُّنيا؛ فإنَّ الواحد منهم يكون مُطاعًا، له السَّلطَنةُ والحُكم، والنّاسُ يخافونَه ويطمعونَ فيما عنده بُرهَةً مِنَ الزَّمن، ثُمَّ يُعْزَلُ أو يموت، أو يَذِلُّ بعد عِزٍّ، ويتَّضِعُ بعدَ رِفْعَة؛ فيبقى

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 175 - 176، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4193.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 175 - 176، والقدّوميّ، التَّفسير البيانيّ، ص: 105.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 175 - 176.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 178.
(5) البغويّ، معالم التَّنزيل: 3/ 82.

لا طاعةَ له، ولا يَعبأُ به أحدٌ، فسُبحانَ مَن لم يتَّخذ ولدًا، ولم يكن له شريكٌ في المُلك، ولم يكن له وليٌّ مِنَ الذُّل[1].

ويحتمل أن يكون الواصبُ: الخالصَ المُصَفَّى مِن كُلِّ شائبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ [الصّافات: 9] أي: خالص، لا يختلط به شيءٌ غريبٌ عنه، يُخّفِفُ مِن آثاره وأفعاله في أهله، الواقعةِ بهم، فلله ﷻ مُلكُ السَّماواتِ والأرض، لا شريكَ له، وله سبحانه الدّينُ الخالص، غيرُ المَشوبِ بشِرْكٍ أو إلحاد، فهو سبحانَه طيّبٌ لا يقبل إلّا طيّبا[2].

ومِن معاني الواصب: الواجبُ الثّابتُ المَفروض[3]، وقد يُراد ما فيه مشقّةٌ محتمَلَةٌ، وهذه المعاني تُراد جميعُها مِن هذه الآية الكاملة، فجَمَعَ معاني عدّةً في هذه الكلمة: له الدِّينُ خالصًا لازمًا، ولا زوال له واجبٌ ودائمٌ، كُلُّها تجمعها، لأنَّ الّذي اختصّ بالله وحدَه دائمٌ، ومفروضٌ، ومنه تكليفٌ للنَّفس، بما يوجب الصَّبرَ، والمُجاهَدة[4].

نوع الهمزة وفائدتها في ﴿أَفَغَيْرَ﴾:

الإنكارُ على المشركين وتوبيخُهم، والتَّعجيبُ مِن حالهم

الهمزةُ في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ للاستفهام، وهذا الاستفهامُ إنكاريٌّ[5]؛ وذلك لأنَّ الطّاعة لا تكون إلّا لله وحدَه، وأنّ الجزاء لا يكون إلّا لله وحدَه، وأنَّ السّماوات والأرض وما فيهنّ لله وحدَه، فكيف يُعبَد ويُتَّقى أحدٌ مع الله ﷻ؟![6]، فهذا الاستفهامُ للإنكار عليهم، وتوبيخِهم، والتَّعجيبِ مِن حالهم[7]، يوبّخُهمُ اللّهُ به على خوف سِواه، وهو الّذي يجب أن يُرهَبَ ويُخافَ؛ لأنَّه المَلِكُ الحقُّ،

(1) الشِّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 210.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ للقرآن: 7/ 307.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 119.
(4) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4193.
(5) البغويّ، معالم التَّنزيل: 3/ 82.
(6) القدّوميّ، التَّفسير البيانيّ، ص: 105.
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 544، وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 168.

القادر على إعطاء النِّعم وسَلْبها، فكيف يُتَّقى مَن لا يملك ضَرًّا ولا نفعًا، ويُعْصَى مَن بيده كلُّ شيء، وإليه مَردُّ كُلِّ شيء؟![1].

نوع الفاء وفائدتها في ﴿أَفَغَيْرَ﴾:

الدّلالةُ على ترتيب ما بعدَها على ما قبلَها

الفاء للتَّعقيب، وهي معطوفة على محذوف، والتَّقدير: أبَعْدَ العِلْمِ بما ذُكر مِنَ التَّوحيد واختصاصِ الكُلِّ به خَلْقًا ومُلْكًا، غيرَ اللّه تُطيعون فتتقون؟![2]، فهي للدّلالة على ترتيب ما بعدَها على ما قبلَها[3].

فتفرَّعَ على الجملتين السّابقتين الدّالّتين على الوحدانيَّة التَّوبيخُ على تقواهم غيرَه، وذلك أنَّهم كانوا يتَّقون إلَهَ الشَّرِّ ويتقرَّبون إليه؛ ليأمنوا شَرَّه[4].

بلاغةُ الإيجازِ في الجملة بين حرفي الاستفهام والعطف:

الإشارةُ إلى ضلال المشركين بأوجز عبارة وأبين إشارة

في الجملة الاستفهاميَّة: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ محذوفٌ، والتَّقدير: أفَبَعْدَ أن علمتُم أنَّ اللّه تعالى له ما في السَّماوات والأرض، وله الطّاعةُ الدّائمة، تتَّقون غيرَه، أو ترهبون سواه؟ إنَّ مَن يفعل ذلك لا يكون مِن جملة العقلاء، وإنّما يكون مِنَ الضّالّين الجاهلين[5].

دلالة تقديم المفعول به ﴿أَفَغَيْرَ﴾:

الدّلالةُ على تخصيص التَّقوى، وأنَّه لا يُتَّقَى سِواه سبحانَه

تقديمُ المفعولِ ﴿أَفَغَيْرَ﴾ على الفعل ﴿تَتَّقُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾؛ للدّلالة على أنَّه لا يُتَّقى سواه، والتَّقوى: امتلاءُ القلب بخشية اللّه تعالى وجلاله وخوفِ عقابه، فلا يُتقَى سواه؛ لأنَّ له الجزاءَ وحدَه[6]، فقُدّم المفعول لتخصيص التّقوى به تعالى، والمنكرُ تقوى غيرِ اللّه تعالى، لا مُطْلَقُ التَّقوى، ولذا قُدِّم الغير[7].

(1) أبو بكر الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 125.
(2) إسماعيل حقّي، تفسير روح البيان: 5/ 42.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4193.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 176.
(5) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 168.
(6) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4193.
(7) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 403.

السِّرُّ وراءَ التَّصريح بالأُلوهيّة:

في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾، ذُكِر اسمُ الجلالة؛ لأجل تعظيم المقام بالاسم الأعظم الخاصِّ، الّذي بُنِيَت عليه السّورةُ، تأكيدًا على عظيم أمر التَّقوى، وأنَّ الله ﷻ هو صاحب الشَّأن، الّذي لا ينبغي أن تُصرف التَّقوى إلّا إليه، فلا يَليق منكم أن تتّقوا غيرَه، ولا أن تطيعوا غيره، ففي الحقيقة التَّقوى لله العظيم وحدَه[1].

تعظيمُ مقامِ التَّقوى، وتخصيصُهُ بالاسم الأعظم، الّذي بُنِيَت عليه السّورةُ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الدِّين والمِلَّة:

المِلَّةُ: السُّنَّةُ والطَّريقَةُ، وأصبَحَتْ اسمًا لِما شَرَعَ اللهُ تعالى لعبادِهِ على لسان الأنبياء، مِنْ حيثُ إنَّ الأنبياءَ يَعلمونها ويَسْلكونها، ويُسَلِّكونَ مَنْ أُمِروا بإرشادِهم بالنّظرِ إلى الأصْل[2]، فالمِلَّة: عبارةٌ عن أصل الدِّين والتَّوحيد والتَّقديس، الذي تَتَّفِقُ فيه جميعُ الشَّرائعُ[3]، وبهَذا الاعْتِبار لا تُضاف إلّا إلى النَّبيِّ الّذي تَسْتَنِدُ إليه، مِن ذلك: مِلَّةُ إبراهيمَ، ولا تكادُ توجدُ مُضافَةً إلى الله تعالى، ولا إلى آحادِ أُمَّةِ النَّبيِّ، ولا تُسْتَعْمَلُ إلّا في جُملَة الشَّرائع دونَ آحادِها، فلا يُقالُ: مِلَّةُ الله، ولا مِلَّتي، ولا مِلَّةُ زيد، كَما يُقال: دِينُ الله، ودِيني، ودِينُ زيد[4]؛ لأنَّها تُقالُ اعتبارًا بمَنْ يُؤدِّي الشَّرعَ عنِ الله تعالى.

المِلَّةُ السُّنَّةُ والطَّريقَةُ، وما شَرعَهُ اللهُ على لسان رُسُلِه، والدِّينُ هو أعمُّ

أمّا الدِّين، في اللُّغَة: فهو العادةُ مُطلقًا، وهو أوْسَعُ مَجالًا، ويُطْلَقُ على الحَقِّ والباطِل أيضًا، والدِّينُ: ما يَذهَبُ إليه الإنْسانُ، ويعتقدُ أنَّه يُقَرِّبُه إلى الله، وإن لَم يكُنْ فيهِ شَرائعُ، مِثْلُ: دِين أهْلِ الشِّرْك، وكلُّ مِلَّةٍ دِينٌ، وليس كُلُّ دِينٍ مِلَّةً، واليَهوديّةُ مِلَّةٌ؛ لأنَّ فيها شَرائعَ، وليس الشِّرْكُ مِلَّةً، وإذا أُطْلِقَ الدِّينُ فهوَ الطّاعَة العامَّة، التي يُجازَى عليها بالثَّواب[5].

(1) الصّاويّ، حاشية الصّاوي على الجلالين: 2/ 271.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ملل)، وابن الأثير، النِّهاية: 4/ 360.
(3) الغزاليّ، المستصفى: 1/ 256.
(4) الكَفَويُّ، الكُلّيّات، ص: 524.
(5) العَسْكَريُّ، الفُروق اللُّغويّة، ص: 177.

فالدِّينُ والمِلَّةُ: مُتَّحِدان بالذّات، ومُخْتَلفانِ بالاعْتِبار؛ فإنَّ الشَّريعَة مِن حَيْثُ إنَّها تُطاعُ تُسَمّى: دِينًا، ومِن حَيْثُ إنَّها تُجمَعُ، تُسَمّى: مِلَّةً، والدِّينُ مَنْسوبٌ إلى اللّه تَعالى، والمِلَّةُ مَنْسوبةٌ إلى الرَّسولِ[1].

فالفرقُ بينَ المِلّة والدِّين: أنَّ المِلَّة ما شرعَهُ اللّهُ على لسان رُسلِه، والدِّينُ ما اعتقدَهُ النّاسُ تَقَرُّبًا إلى اللّه، فصار كُلُّ دين مِلَّةً، وليس كُلُّ مِلَّةٍ دينًا[2].

الوَصَبُ والنَّصب:

النَّصَبُ تَعَبٌ ومَشَقَّةٌ، والوَصَبُ المرضُ الدّائم

الوَصَبُ: هو الألم الّذي يَلْزَم البدنَ لُزومًا دائمًا، ومنه يُقال: مفازةٌ واصبة، إذا كانت بعيدةً كأنَّها مِن شِدَّة بُعدها لا غايةَ لها، فالوَصَبُ: دَوامُ الوَجَعِ ولُزومُه[3]، وقيلَ: الوَصَبُ: المَرَضُ، والنَّصَبُ: التَّعَبُ والمَشقَّة[4]، فالتّعب قد لا يكون مرضًا، كأن يمشي الإنسانُ مسافةً ويتعبُ، ويحملُ أمتعةً ويتعب، أو يبني جِدارًا ويتعب، وهو ليس مريضًا، أمّا الوَصب، فإنَّه المرض، وعلى هذا المعنى قولُ النَّبيّ ﷺ: "ما يصيبُ المسلمَ مِن نَصَبٍ، ولا وصَبٍ، ولا هَمّ، ولا حَزَنٍ، ولا أذًى، ولا غَمٍّ، حتَّى الشَّوكة يُشاكها إلّا كفَّرَ اللّه بها مِن خطاياه"[5]، فالفرقُ بينَ النَّصَب والوَصَب: هو أنَّ النَّصبَ هو التَّعب والمَشقَّة، والوَصَبُ: هو الوَجَعُ الدّائمُ أو المَرضُ.

(1) الجِرْجانيُّ، التَّعريفات، ص: 105 - 106.
(2) الماورديُّ، النّكت والعيون: 2/ 239.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويَّة، ص: 239.
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (وصب).
(5) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (5318).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»